العقيدة الأشعرية في نيجيريا ومنافساتها المعاصرة: دراسة تحليلية

الباحث ضياء الدين أدريبببي تجاني
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
المغرب

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل واقع العقيدة الأشعرية في نيجيريا في ظل التحديات العقدية المعاصرة التي فرضتها التيارات السلفية الوهابية والحركات الشيعية. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع تطور هذه التيارات، وبيان أثرها في البنية الدينية والاجتماعية للمجتمع النيجيري. كما ركزت الدراسة على إبراز مكانة العقيدة الأشعرية بوصفها الإطار العقدي التاريخي الغالب بين المسلمين في نيجيريا، مع تحليل طبيعة المنافسة الفكرية التي تواجهها في العصر الحديث.

وتوصلت الدراسة إلى أن العقيدة الأشعرية ما تزال تحتفظ بمكانتها المركزية داخل المجتمع الإسلامي النيجيري بفضل ارتباطها بالمذهب المالكي والمؤسسات التعليمية التقليدية، غير أن التيارات السلفية والشيعية استطاعت توسيع نفوذها عبر التعليم والإعلام والتنظيم الحركي. كما أظهرت الدراسة أن التنافس العقدي في نيجيريا تجاوز البعد الديني البحت ليأخذ أبعادًا سياسية واجتماعية وثقافية، مما يفرض ضرورة تعزيز ثقافة الحوار والتعايش الديني حفاظًا على وحدة المجتمع واستقراره.

تمهيد

إن دراسة العقيدة الأشعرية في نيجيريا لا تقتصر على تتبع تاريخ انتشارها وتطورها، بل تستوجب أيضًا النظر في السياق الديني والفكري المتعدد الذي تتحرك داخله في العصر الحديث. فقد ظلت الأشعرية، عبر قرون طويلة، الإطار العقدي الغالب بين غالبية المسلمين في نيجيريا، ولا سيما في المناطق الشمالية، غير أن العقود الأخيرة شهدت بروز تيارات عقدية أخرى نافست هذا الحضور التاريخي، وفي مقدمتها التيار السلفي الوهابي والتيار الشيعي. وقد أسهمت عوامل متعددة في تنامي هذه التيارات، من أهمها الابتعاث العلمي إلى الخارج، والدعم المؤسسي والإعلامي، إضافة إلى تأثيرات العولمة والتدفقات الثقافية والفكرية المعاصرة.

ويعكس هذا التعدد العقدي طبيعة الحراك الديني في المجتمعات الإسلامية الإفريقية، إلا أن حدته في نيجيريا ازدادت خلال العقود الأخيرة، الأمر الذي أفرز تحولات في الخطاب الديني، وأوجد توترات مذهبية أثرت في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع النيجيري. ومن هنا تبرز أهمية دراسة واقع العقيدة الأشعرية في نيجيريا في ضوء هذه التحديات المعاصرة، من أجل فهم طبيعة التنافس العقدي وآثاره المستقبلية في أكبر تجمع مسلم في القارة الإفريقية.

وعليه، ينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب رئيسة: يتناول المطلب الأول العقيدة السلفية الوهابية في نيجيريا من حيث النشأة والتوسع، بينما يركز المطلب الثاني على العقيدة الشيعية وتطورها في البلاد، أما المطلب الثالث فيتناول العقيدة الأشعرية ومكانتها المعاصرة في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية الراهنة.

المطلب الأول: العقيدة السلفية الوهابية في نيجيريا: النشأة والتوسع

رغم رسوخ العقيدة الأشعرية في نيجيريا عبر قرون طويلة، فإن العقيدة السلفية الوهابية بدأت في الظهور بوصفها تيارًا فكريًا وعقديًا منافسًا، متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية، والتي دعت إلى العودة المباشرة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وفق فهم السلف الصالح، مع رفض كثير من التأويلات الكلامية والممارسات الصوفية التي كانت شائعة في المجتمع النيجيري.

وقد دخل هذا التيار إلى نيجيريا من خلال الطلاب الذين تلقوا تعليمهم في الجامعات والمعاهد الإسلامية بالمملكة العربية السعودية وبعض الدول العربية الأخرى، ثم عادوا إلى بلادهم حاملين هذا التوجه العقدي الجديد. وسرعان ما أصبح لهذا التيار حضور مؤثر في المجالين التعليمي والدعوي، مما جعله يشكل تحديًا مباشرًا للهيمنة الأشعرية والصوفية التقليدية.

تاريخيًا، كانت نيجيريا تُعرف بانتمائها السني الأشعري[1]، وظلت هذه السمة بارزة حتى منتصف القرن العشرين تقريبًا، قبل أن تبدأ ملامح التغير في الستينيات والسبعينيات مع صعود الحركات السلفية. ويُعد الشيخ أبو بكر غومي (1924–1992م) من أبرز رواد هذا الاتجاه، إذ عُرف بنشاطه الدعوي المكثف وانتقاداته الحادة للطرق الصوفية والعلماء التقليديين، حيث كان يرى أن كثيرًا من الممارسات المنتشرة بين المسلمين تدخل ضمن دائرة البدع.

وقد تأثر غومي بالفكر الوهابي خلال دراسته واتصاله بالمملكة العربية السعودية، واستخدم وسائل الإعلام الحديثة، ولا سيما الإذاعة، في نشر أفكاره والدعوة إلى ما اعتبره عودة إلى المنابع الأولى للإسلام، بعيدًا عن التأويلات الأشعرية والممارسات الصوفية مثل الاحتفال بالمولد النبوي وزيارة الأضرحة[2].

---

[1] في حواره مع إسلام أون لاين، مفتي نيجيريا: نعاني من الشيعة والوهابية، مصطفى عاشور وعبد الله الطحاوي، أطلع عليه بتاريخ: 2020/07/11، https://archive.islamonline.net/6252.

[2] An Introduction to Islamic Movements and Modes of Thought in Nigeria, Ibrahim Haruna Hassan, p. 18.

وفي سنة 1978م تأسست جمعية «إزالة البدعة وإقامة السنة» المعروفة اختصارًا بـ«الإزالة»، والتي هدفت إلى محاربة ما تراه بدعًا ومخالفات عقدية بين المسلمين، خاصة لدى أتباع الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية. غير أن الحركة شهدت انقسامات داخلية بعد وفاة مؤسسها، مما أدى إلى ظهور فصائل متعددة، من بينها جماعة أهل السنة والجماعة، وجماعات أخرى احتفظت باسم الإزالة[3].

ورغم هذه الانقسامات، استمرت الحركة في نشاطها الدعوي والتعليمي، لا سيما من خلال الوعظ الجماهيري والبرامج التعليمية. ومن أبرز التيارات السلفية الأخرى في نيجيريا حركة «يان مدينة» (أبناء المدينة)، وهي حركة أسسها طلاب درسوا في الجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة ومكة المكرمة، بالإضافة إلى خريجين من المعاهد الإسلامية في النيجر وتشاد.

وقد انتشرت هذه الحركة في عدد من المدن الشمالية مثل كانو وكادونا وزاريا وغومبي وكاتسينا، وتميز خطابها بالتركيز على الإصلاح الديني والتعليم الشرعي. كما سعت إلى إنشاء مدارس نظامية تجمع بين العلوم المدنية والدراسات الإسلامية، مع التركيز على تدريس كتب التفسير والحديث وفق المنهج السلفي[4].

ومن أبرز مظاهر التحدي الذي فرضه التيار السلفي على العقيدة الأشعرية سعيه إلى استبدال المتون الأشعرية التقليدية بكتب علماء السلف، مثل مؤلفات ابن تيمية وابن كثير، الأمر الذي أدى إلى توترات داخل بعض المساجد والمؤسسات التعليمية.

ومن المهم التمييز بين مصطلحي «السلفية» و«الوهابية» في السياق النيجيري، رغم استخدامهما أحيانًا على سبيل الترادف. فالسلفية تُشير إلى الاتجاه الذي يدعو إلى الالتزام بفهم السلف الصالح والاقتداء بالقرون الثلاثة الأولى، بينما تشير الوهابية إلى الامتداد الفكري المرتبط بدعوة محمد بن عبد الوهاب، مع التركيز على محاربة البدع وإحياء مفهوم التوحيد.

وقد أفرز هذا التنوع داخل التيار السلفي اختلافات في الأساليب والمواقف، فبعض الجماعات تبنت منهجًا دعويًا سلميًا، بينما اتجهت جماعات أخرى إلى التشدد والعنف، كما هو الحال في جماعة «بوكو حرام»، التي تُعد امتدادًا متطرفًا لبعض الاتجاهات السلفية المتشددة[5].

كما برز عدد من العلماء الذين أسهموا في نشر الفكر السلفي في المناطق الغربية من نيجيريا، خاصة في بلاد اليوروبا، ومنهم الشيخ عبد السلام بمديلي، والشيخ عثمان لانسي، والشيخ أسامة كوتا، والشيخ عبد الباقي محمد إيوو، حيث ركزوا على التأليف والترجمة وإقامة المحاضرات الدعوية[6].

وفي التحليل العام، يمكن القول إن انتشار التيار السلفي الوهابي في نيجيريا لم يكن مجرد تحول عقدي، بل مثل إعادة تشكيل للخريطة الدينية والتعليمية في البلاد، كما أسهم في تصاعد الخلافات المذهبية، وأثر في البنية التقليدية التي ظلت الأشعرية والصوفية تمثل عمودها

المطلب الثاني: العقيدة الشيعية في نيجيريا: التطور والتحديات

شهد التشيع في نيجيريا تطورات متدرجة انتقلت به من وجود محدود مرتبط بالمهاجرين اللبنانيين إلى حركة دينية وسياسية منظمة يقودها نيجيريون، الأمر الذي جعله يمثل أحد أبرز التحديات المعاصرة للعقيدة السنية الأشعرية في البلاد.

---

[3] نيجيريا: قضايا وتحديات التعايش في مجتمع تعددي، د. صبحي قنصوة، ص: 142.

[4] Salafism in Northern Nigeria Beyond Boko Haram, Blog Post by Guest Blogger for John Campbell, January 27, 2017, https://www.cfr.org/blog/salafism-northern-nigeria-beyond-boko-haram.

[5] السلفية في نيجيريا، سامح إسماعيل، https://hafryat.com/ar/blog/السلفية-في-نيجيريا.

[6] في حواره مع إسلام أون لاين، مفتي نيجيريا: نعاني من الشيعة والوهابية، مصطفى عاشور وعبد الله الطحاوي، أطلع عليه بتاريخ: 2020/07/11، https://archive.islamonline.net/6252.

وقد مرّ التشيع في نيجيريا بمرحلتين أساسيتين؛ ارتبطت الأولى بالمهاجرين اللبنانيين الذين استقروا في مدينة كانو منذ أوائل القرن العشرين، بينما تمثلت الثانية في ظهور حركات شيعية محلية يقودها نيجيريون متأثرون بالثورة الإيرانية[7].

تشير بعض الدراسات إلى أن أغلب اللبنانيين المسلمين الذين استقروا في مدينة كانو كانوا ينتمون إلى المذهب الشيعي، إلا أنهم لم يكونوا معنيين بنشر مذهبهم بين السكان المحليين، بل انشغلوا بالنشاط التجاري والاستقرار الاقتصادي. غير أن الثورة الإيرانية سنة 1979م شكلت نقطة تحول مهمة، حيث بدأت الأفكار الشيعية تكتسب حضورًا متزايدًا في بعض الأوساط الطلابية والدعوية[8].

أما المرحلة الثانية، فقد بدأت مع نشاط إبراهيم الزكزكي، الذي كان من أبرز أعضاء جمعية الطلاب المسلمين في نيجيريا (MSSN) بجامعة أحمدو بيلو في زاريا. وقد تأثر الزكزكي بأفكار الثورة الإيرانية وقيادة آية الله الخميني، ثم أعلن في بداية التسعينيات اقتناعه بالعقيدة الشيعية، الأمر الذي تسبب في انقسامات داخل الحركات الإسلامية الطلابية[9].

وأدى هذا التحول إلى انفصال بعض أتباعه وتأسيس جماعات أخرى، من بينها «جماعة التجديد الإسلامي»، في حين أسس الزكزكي لاحقًا «الحركة الإسلامية في نيجيريا(IMN) »، التي أصبحت الإطار التنظيمي الرئيس لنشر الفكر الشيعي في البلاد[10].

وقد ركزت الحركة على بناء المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية، كما عملت على تنظيم المناسبات الدينية والأنشطة التعبوية التي عززت حضورها في عدد من الولايات الشمالية.

إلا أن نشاط الحركة لم يقتصر على الجانب الديني، بل ارتبط كذلك بأبعاد سياسية وأمنية، خاصة مع اتهامها بالولاء الخارجي لإيران، وعدم الاعتراف الكامل بالدولة النيجيرية ومؤسساتها. وقد أدت هذه الاتهامات إلى توترات متكررة بينها وبين السلطات الحكومية، بلغت ذروتها في المواجهات المسلحة التي وقعت في عدة مناسبات.

كما أشارت تقارير أمنية إلى وجود تدريبات عسكرية لبعض عناصر الحركة، بالإضافة إلى اتهامات بتهريب الأسلحة والتنسيق مع جهات خارجية، وهو ما دفع الحكومة النيجيرية إلى تصنيف الحركة الإسلامية في نيجيريا منظمة محظورة سنة 2019م[11].

وفي هذا السياق، أكدت السلطات النيجيرية أن قرار الحظر لا يستهدف المذهب الشيعي بوصفه انتماءً دينيًا، وإنما يتعلق بالأنشطة السياسية والأمنية المرتبطة بحركة الزكزكي تحديدًا.

ومن المهم هنا التمييز بين ممارسة الجالية اللبنانية للعقيدة الشيعية في إطار ديني واجتماعي محدود، وبين المشروع الحركي الذي قاده إبراهيم الزكزكي، والذي اتخذ طابعًا سياسيًا وتنظيميًا أكثر وضوحًا.

---

[7] الدعوة السلفية في بلاد يوروبا، محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ تاج الدين الأدبي عبد الكريم حسبي الله، في مخيم جماعة تعاون المسلمين في بلدة إيوو ولاية أوشن، بتاريخ 4 صفر 1433هـ الموافق 27 ديسمبر 2011م.

[8] An Introduction to Islamic Movements and Modes of Thought in Nigeria, Ibrahim Haruna Hassan, p. 24.

[9] A History of Shia and its Development in Nigeria: The Case-Study of Kano, Kabiru Haruna Isa and Sani Yakubu Adam, Bayero University, Kano, p. 239.

[10]

[11] التمدد الشيعي.. "حركة الزكزكي" واستنساخ "حزب الله" جديد في نيجيريا، نهال أحمد، 2018/12/08، أطلع عليه بتاريخ: 2019/10/08، http://www.acrseg.org/40243.

وفي التحليل العام، يمكن القول إن انتشار التشيع في نيجيريا لم يكن مجرد تحول مذهبي، بل ارتبط بسياقات سياسية وإقليمية أوسع، وأسهم في تصاعد التوترات الطائفية داخل المجتمع النيجيري، الأمر الذي جعل العقيدة الأشعرية أمام تحديات جديدة تتعلق بالحفاظ على الوحدة الدينية والاجتماعية.

المطلب الثالث: العقيدة الأشعرية في نيجيريا: المكانة والمواجهات المعاصرة

رغم تنامي المنافسات العقدية والفكرية، لا تزال العقيدة الأشعرية تمثل الإطار العقدي الغالب بين المسلمين في نيجيريا، خاصة في المناطق الشمالية، حيث ارتبطت تاريخيًا بالمذهب المالكي والتصوف السني، وشكلت الأساس الفكري للمؤسسات التعليمية والدعوية التقليدية.

وقد تعزز حضور العقيدة الأشعرية في نيجيريا بفضل جهود عدد من العلماء والمصلحين، وفي مقدمتهم الشيخ عثمان بن فوديو (ت 1817م)، الذي قاد حركة إصلاحية واسعة هدفت إلى إحياء الإسلام وتعزيز التعليم الشرعي وفق المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية.

واعتمد ابن فوديو في مؤلفاته على مصادر أشعرية معروفة، مثل مؤلفات السنوسي واللقاني وغيرهما من علماء الكلام السني، مما أسهم في ترسيخ الفكر الأشعري داخل البيئة العلمية النيجيرية[12].

كما لعب علماء شمال إفريقيا دورًا بارزًا في نقل الفكر الأشعري إلى نيجيريا، ومن أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، الذي كان له تأثير كبير في الحياة العلمية والدينية في غرب إفريقيا.

وقد استمر تدريس العقيدة الأشعرية في المعاهد والمدارس الإسلامية النيجيرية عبر متون معروفة مثل «أم البراهين» للسنوسي، و«جوهرة التوحيد» للقاني، وشروح البيجوري وغيرها من الكتب التي ظلت معتمدة في التعليم التقليدي.

ومن أبرز علماء الأشعرية في نيجيريا: الشيخ محمد بن سليمان الوالي الباغرمي، والشيخ صالح بوليم الأوجيلي، والشيخ الطاهر الفيرمة البرناوي، والشيخ محمد الناصر الكبرى، والشيخ آدم عبد الله الألوري، وغيرهم من العلماء الذين ساهموا في نشر الفكر الأشعري وتأليف المتون والشروح العقدية.

كما انتشرت في نيجيريا مجموعة من المؤلفات الأشعرية التي تُدرس في المعاهد والزوايا، ومن أشهرها: «أم البراهين»، و«تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، و«إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة»، إضافة إلى عدد من المنظومات والشروح المحلية.

إلا أن العقيدة الأشعرية تواجه اليوم تحديات متزايدة من التيارات السلفية والشيعية، التي تنتقد اعتماد الأشاعرة على علم الكلام والتأويل العقلي في مسائل الصفات الإلهية. وقد ظهر هذا النقد في كتابات بعض العلماء السلفيين الذين رأوا أن الأشعرية امتداد لبعض المناهج الكلامية المتأثرة بالمعتزلة[13].

وفي المقابل، سعى علماء الأشعرية إلى الدفاع عن منهجهم من خلال التأليف والتدريس والردود العلمية، مؤكدين أن الأشعرية تمثل منهج أهل السنة والجماعة القائم على التوازن بين العقل والنقل، والبعيد عن الإفراط والتفريط.

ومن أبرز الانتقادات التي وُجهت إلى الأشاعرة مسألة حصر الصفات الإلهية في صفات معينة، واعتماد التأويل في بعض النصوص المتعلقة بالصفات، وهو ما ناقشه عدد من الباحثين والعلماء في الساحة النيجيرية.

كما حاول بعض الدعاة السلفيين نشر الفكر السلفي من خلال تأليف الكتب وترجمة مؤلفات علماء السلف إلى اللغات المحلية، إلى جانب إنشاء المؤسسات التعليمية التي تعتمد مناهج مختلفة عن المناهج الأشعرية التقليدية.

---

[12] حركات الإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا، عبد الله سيسي، ص: 256.

[13] [13] الفرق الإسلامية في نيجيريا، ص: 42-43.

وفي ضوء هذه التحديات، تبدو العقيدة الأشعرية في نيجيريا أمام مسؤولية كبيرة تتعلق بالحفاظ على حضورها التاريخي والفكري، مع ضرورة تطوير الخطاب الديني وتعزيز ثقافة الحوار والتعايش، بما يسهم في الحد من التوترات المذهبية ويحافظ على وحدة المجتمع المسلم في نيجيريا.

خاتمة

خلص هذا المبحث إلى أن العقيدة الأشعرية ما تزال تمثل الإطار العقدي الأوسع انتشارًا بين المسلمين في نيجيريا، غير أنها تواجه في العصر الحديث تحديات متزايدة من التيارات السلفية والشيعية التي تسعى إلى توسيع نفوذها الفكري والاجتماعي.

وقد تبين أن التيار السلفي الوهابي استطاع تحقيق انتشار واسع عبر المؤسسات التعليمية والدعوية، مستفيدًا من الدعم الخارجي ووسائل الإعلام الحديثة، في حين ارتبط انتشار التشيع في نيجيريا بالسياقات السياسية الإقليمية وتأثير الثورة الإيرانية.

وفي المقابل، حافظت الأشعرية على حضورها التاريخي بفضل عمقها العلمي وارتباطها بالمذهب المالكي والتصوف السني، إضافة إلى استمرار المؤسسات التقليدية في تدريس متونها العقدية.

كما أظهرت الدراسة أن التنافس العقدي في نيجيريا لم يعد مجرد اختلاف مذهبي محدود، بل أصبح يرتبط بأبعاد سياسية واجتماعية وثقافية أوسع، الأمر الذي يفرض ضرورة تعزيز ثقافة الحوار الديني والتعايش السلمي، حفاظًا على استقرار المجتمع النيجيري ووحدته الدينية.

المراجع والمصادر:

- عاشور، مصطفى، والطحاوي، عبد الله. «مفتي نيجيريا: نعاني من الشيعة والوهابية .«إسلام أون لاين .تاريخ الاطلاع: 2020/07/11.
https://archive.islamonline.net/6252

- Hassan, Ibrahim Haruna. An Introduction to Islamic Movements and Modes of Thought in Nigeria.

- قنصوة، صبحي .نيجيريا: قضايا وتحديات التعايش في مجتمع تعددي.

- Campbell, John. "Salafism in Northern Nigeria Beyond Boko Haram." Council on Foreign Relations (CFR), January 27, 2017. https://www.cfr.org/blog/salafism-northern-nigeria-beyond-boko-haram

- إسماعيل، سامح. «السلفية في نيجيريا .«موقع حفريات.
https://hafryat.com/ar/blog/السلفية-في-نيجيريا

- حسبي الله، تاج الدين الأدبي عبد الكريم. «الدعوة السلفية في بلاد يوروبا». محاضرة ألقيت في مخيم جماعة تعاون المسلمين ببلدة إيوو، ولاية أوشن، 27 ديسمبر 2011م.

- Isa, Kabiru Haruna & Adam, Sani Yakubu. A History of Shia and its Development in Nigeria: The Case-Study of Kano. Bayero University, Kano.

- أحمد، نهال. «التمدد الشيعي: حركة الزكزكي واستنساخ حزب الله جديد في نيجيريا». 2018/12/08. تاريخ الاطلاع: 2019/10/08.
http://www.acrseg.org/40243

- سيسي، عبد الله .حركات الإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا.

- الفرق الإسلامية في نيجيريا.

- الألوري، آدم عبد الله .الإسلام في نيجيريا .القاهرة: مكتبة وهبة، 1978م.

- Trimingham, J. Spencer. Islam in West Africa. London: Oxford University Press, 1962.

- Loimeier, Roman. Islamic Reform and Political Change in Northern Nigeria. Evanston: Northwestern University Press, 1997.

- Kane, Ousmane. Muslim Modernity in Postcolonial Nigeria. Leiden: Brill, 2003.

- Umar, Muhammad Sani. Islam and Colonialism: Intellectual Responses of Muslims of Northern Nigeria to British Colonial Rule. Leiden: Brill, 2006.